

السؤال

ما هو ترتيب العبادات فقد علمت من أحد الأشرطة الدعوية أن للشيطان مداخل ومن بينها ، أنه يبدأ بجعل العبد يكفر فإن لم يستطع فيجعله لا يصلي فإن لم يستطع فإنه يمنعه من أن يأتي بالعبادات الأكثر ثواباً ، وهكذا إلى أن يأتي إلى آخر مرحلة ، وهي كثرة الحلال ، أي يجعله من المبذرين ، فالرجاء توضيح ترتيب العبادات لأنني لا أدري ما هي العبادات الأكثر ثواباً فالأكثر ولكم جزيل الشكر

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

كأن السائلة تقصد بما سمعته من أحد الدعاة ، ما ذكره ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم " مدارج السالكين " فقد ذكر رحمه الله سبع عقبات يحرص الشيطان الرجيم أن يهزم ابن آدم فيها ، ولا ينتقل من العقبة الأشد إلى التي تليها إلا عند عجزه عن الأولى .

فقال رحمه الله :

" الْعُقْبَةُ الْأُولَى [العقبة هي الطريق الصعب الصاعد في الجبل] : عقبة الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَبِدِينِهِ وَلِقَائِهِ، وَبِصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَبِمَا أُخْبِرَتْ بِهِ رَسُولُهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَفَرَ بِهِ فِي هَذِهِ الْعُقْبَةِ بَرَدَتْ نَارُ عِدَاوَتِهِ وَاسْتَرَاخَ، فَإِنْ افْتَحَمَ هَذِهِ الْعُقْبَةَ وَتَجَا مِنْهَا بِبَصِيرَةِ الْهُدَايَةِ، وَسَلِمَ مَعَهُ نُورُ الْإِيمَانِ، طَلَبَهُ عَلَى:

الْعُقْبَةِ الثَّانِيَةِ: وَهِيَ عَقْبَةُ الْبِدْعَةِ، إِمَّا بِاعْتِقَادِ خِلَافِ الْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ، وَإِمَّا بِالتَّعَبُّدِ بِمَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ مِنَ الْأَوْضَاعِ وَالرُّسُومِ الْمُحَدَّثَةِ فِي الدِّينِ، الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهَا شَيْئًا...

فَإِنْ قَطَعَ هَذِهِ الْعُقْبَةَ، وَخَلَصَ مِنْهَا بِنُورِ السُّنَّةِ، وَاعْتَصَمَ مِنْهَا بِحَقِيقَةِ الْمُتَابَعَةِ، وَمَا مَضَى عَلَيْهِ السَّلَفُ الْأَخْيَارُ، مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَهِيَ هَاتِ أَنْ تَسْمَحَ الْأَعْصَارُ الْمُتَأَخِّرَةُ بِوَاحِدٍ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ! فَإِنْ سَمَحَتْ بِهِ نَصَبَ لَهُ أَهْلُ الْبِدْعِ الْحَبَائِلَ، وَبَعُوهُ الْغَوَائِلَ، وَقَالُوا: مُبْتَدِعٌ مُحَدَّثٌ.

الْعُقْبَةُ الثَّالِثَةُ: وَهِيَ عَقْبَةُ الْكِبَائِرِ، فَإِنْ ظَفَرَ بِهِ فِيهَا، زَيْنَهَا لَهُ، وَحَسَنَهَا فِي عَيْنِهِ، وَسَوَّفَ بِهِ...

فَإِنْ قَطَعَ هَذِهِ الْعُقْبَةَ بِعِصْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، أَوْ بِتَوَنُّوَةٍ نَصُوحٍ تُنْجِيهِ مِنْهَا، طَلَبَهُ عَلَى:

الْعُقْبَةُ الرَّابِعَةُ: وَهِيَ عَقْبَةُ الصَّغَائِرِ، فَكَالَ لَهُ مِنْهَا بِالْفُفْزَانِ، وَقَالَ: مَا عَلَيْكَ إِذَا اجْتَنَبْتَ الْكِبَائِرَ مَا غَشِيَتْ مِنَ اللَّمَمِ، أَوْ مَا عَلِمْتَ

بِأَنَّهَا تُكَفِّرُ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ وَالْحَسَنَاتِ، وَلَا يَزَالُ يُهَوَّنُ عَلَيْهِ أَمْرُهَا حَتَّى يُصِرَّ عَلَيْهَا، فَيَكُونُ مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ الْخَائِفُ الْوَجِلُ النَّادِمُ، أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ، فَأَلْصَرَ عَلَى الذَّنْبِ أَقْبَحُ مِنْهُ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، ثُمَّ ضَرْبَ لَذِكْ مَثَلًا بِقَوْمٍ نَزَلُوا بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَعْوَزَهُمُ الْحَطَبُ، فَجَعَلَ هَذَا يَجِيءُ بِعُودٍ، وَهَذَا بِعُودٍ، حَتَّى جَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، فَكَذَلِكَ فَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ تَجْتَمِعُ عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ يَسْتَهِينُ بِشَأْنِهَا حَتَّى تُهْلِكَهُ).

العُقْبَةُ الْخَامِسَةُ: وَهِيَ عَقْبَةُ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَا حَرَجَ عَلَى فَاعِلِهَا، فَشَغَلَهُ بِهَا عَنْ الْإِسْتِكْنَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَعَنْ الاجْتِهَادِ فِي التَّزَوُّدِ لِمَعَادِهِ، ثُمَّ طَمَعَ فِيهِ أَنْ يَسْتَنْدِرَ جُهُ مِنْهَا إِلَى تَرْكِ السُّنَنِ، ثُمَّ مِنْ تَرْكِ السُّنَنِ إِلَى تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ، وَأَقْلُ مَا يُنَالُ مِنْهُ تَفْوِيقُهُ الْأَرْبَاحَ، وَالْمَكَاسِبَ الْعَظِيمَةَ، وَالْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ، وَلَوْ عَرَفَ السَّعْرَ لَمَّا فَوَّتَ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْقُرْبَاتِ، وَلَكِنَّهُ جَاهِلٌ بِالسَّعْرِ. فَإِنْ نَجَا مِنْ هَذِهِ الْعُقْبَةِ بِبَصِيرَةٍ تَامَّةٍ وَنُورٍ هَادٍ، وَمَعْرِفَةٍ بِقَدْرِ الطَّاعَاتِ وَالِاسْتِكْنَارِ مِنْهَا، وَقِلَّةِ الْمَقَامِ عَلَى الْمِينَاءِ، وَخَطَرِ التِّجَارَةِ، وَكَرَمِ الْمُشْتَرِي، وَقَدَّرَ مَا يُعَوِّضُ بِهِ التُّجَّارَ، فَبَخِلَ بِأَوْقَاتِهِ، وَضَنَّ بِأَنْفَاسِهِ أَنْ تَذْهَبَ فِي غَيْرِ رِنَجٍ، طَلَبَهُ الْعَدُوُّ عَلَى: الْعُقْبَةِ السَّادِسَةِ: وَهِيَ عَقْبَةُ الْأَعْمَالِ الْمَرْجُوحَةِ الْمَفْضُولَةِ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَأَمَرَهُ بِهَا، وَحَسَّنَهَا فِي عَيْنِهِ، وَزَيَّنَهَا لَهُ، وَأَرَاهُ مَا فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ وَالرِّيحِ، لِيَشْغَلَهُ بِهَا عَمَّا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، وَأَعْظَمُ كَسْبًا وَرِنَجًا، لِأَنَّهُ لَمَّا عَجَزَ عَنْ تَخْسِيرِهِ أَصْلَ الثَّوَابِ، طَمَعَ فِي تَخْسِيرِهِ كَمَالَهُ وَفَضْلَهُ، وَدَرَجَاتِهِ الْعَالِيَةَ، فَشَغَلَهُ بِالْمَفْضُولِ عَنِ الْفَاضِلِ، وَبِالْمَرْجُوحِ عَنِ الرَّاجِحِ، وَبِالْمَحْبُوبِ لِلَّهِ عَنِ الْأَحَبِّ إِلَيْهِ، وَبِالْمَرْضِيِّ عَنِ الْأَرْضَى لَهُ.

وَلَكِنْ أَيْنَ أَصْحَابُ هَذِهِ الْعُقْبَةِ؟ فَهُمْ الْأَفْرَادُ فِي الْعَالَمِ، وَالْأَكْثَرُونَ قَدْ ظَفَرَ بِهِمْ فِي الْعُقَبَاتِ الْأُولِ. فَإِنْ نَجَا مِنْهَا بِفَقْهِ فِي الْأَعْمَالِ وَمَرَاتِبِهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَمَنَازِلِهَا فِي الْفَضْلِ، وَمَعْرِفَةِ مَقَادِيرِهَا، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ عَالِيهَا وَسَافِلِهَا، وَمَفْضُولِهَا وَفَاضِلِهَا، وَرَئِيسِهَا وَمَرْءُوسِهَا، وَسَيِّدِهَا وَمَسُودِهَا، فَإِنَّ فِي الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ سَيِّدًا وَمَسُودًا، وَرَئِيسًا وَمَرْءُوسًا، وَذِرْوَةً وَمَا دُونَهَا، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ (سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ...) الْحَدِيثُ، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ (الْجِهَادُ ذِرْوَةٌ سَنَامِ الْأَمْرِ)، وَفِي الْآخِرِ الْآخَرِ (إِنَّ الْأَعْمَالَ تَفَاخَرَتْ) فَذَكَرَ كُلَّ عَمَلٍ مِنْهَا مَرْتَبَتَهُ وَفَضْلَهُ، وَكَانَ لِلصَّدَقَةِ مَرْتَبَةٌ فِي الْفَخْرِ عَلَيْهِنَّ، وَلَا يَقْطَعُ هَذِهِ الْعُقْبَةُ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَائِرِ وَالصِّدْقِ مِنْ أُولِي الْعِلْمِ، السَّائِرِينَ عَلَى جَادَةِ التَّوْفِيقِ، قَدْ أَنْزَلُوا الْأَعْمَالَ مَنَازِلَهَا، وَأَعْطَوْا كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

فَإِذَا نَجَا مِنْهَا لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ عَقْبَةُ يَطْلُبُهَا الْعَدُوُّ عَلَيْهَا سِوَى وَاحِدَةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا، وَلَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا رُسُلُ اللَّهِ وَأَنْبِيَائُهُ، وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَيْهِ، وَهِيَ عَقْبَةُ تَسْلِيطِ جُنْدِهِ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى، بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، عَلَى حَسَبِ مَرْتَبَتِهِ فِي الْخَيْرِ، فَكُلَّمَا عَلَتْ مَرْتَبَتُهُ، أَجْلَبَ عَلَيْهِ الْعَدُوُّ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ، وَظَاهَرَ عَلَيْهِ بِجُنْدِهِ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِ حَزْبَهُ وَأَهْلَهُ بِأَنْوَاعِ التَّسْلِيطِ، وَهَذِهِ الْعُقْبَةُ لَا حِيلَةَ لَهُ فِي التَّخْلُصِ مِنْهَا، فَإِنَّهُ كُلَّمَا جَدَّ فِي الْإِسْتِقَامَةِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالْقِيَامِ لَهُ بِأَمْرِهِ، جَدَّ الْعَدُوُّ فِي إِغْرَاءِ السُّفْهَاءِ بِهِ، فَهُوَ فِي هَذِهِ الْعُقْبَةِ قَدْ لَبَسَ لَأَمَةَ الْحَرْبِ، وَأَخَذَ فِي مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ " انتهى " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين " (1/237).

ثانيا :

وأما السؤال عن ترتيب العبادات وما هو أفضلها ، فقد سبقت الإجابة عن ذلك في هذا الموقع ، وبيننا أنه يختلف باختلاف

الأشخاص والأحوال .

ويرجى لمعرفة ذلك مراجعة السؤال (21374) ، (232966) .

على أن من أنفع ما يكون للعبد في أمر دينه ، وأهداه إلى صراط ربه ، وأعظمه تثبيتاً له على طاعاته : ألا يزال ملازماً لذكر ربه ، في شأنه كله ، لهجا به على كل حالته .
 فعن عبد الله بن بسر - رضي الله عنه: أَنَّ رجلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّهُ بِهِ قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ. رواه الترمذي، (3375) وقال: حديث حسن غريب . وصححه الألباني .

والله أعلم .